

Semantic Shifts in Contemporary Arabic Dialects: The Dhofari Dialect as a Case Study in Language, Culture, and Identity

التطور الدلالي للألفاظ المستعملة في اللهجات المعاصرة لهجة ظفار نموذجاً

Said Bait Mubarak^{1*}

¹Dhofar University, Salalah, Oman.

ARTICLE INFO

Article history:
Received 21 May 2023
Accepted 25 Jun 2023
Published

*Corresponding author:
Dhofar University, Salalah, Oman.
Email: saidmbrk2015@gmail.com.

Abstract

This study investigates how selected vocabulary items in the Dhofari Arabic dialect reveal broader patterns of semantic change in contemporary Arabic and what these shifts disclose about cultural and social transformations. Focusing on three examples of colloquial vocabulary with classical (fuṣḥā) origins, the research traces trajectories of meaning change while examining how pronunciation and usage preserve evidence of dialectal specificity and deep continuity with classical Arabic. By situating Dhofari within a wider linguistic and cultural landscape, the study highlights how contemporary dialects function as key archives for reconstructing the history of Arabic and the lived experiences of its speakers. The analysis also demonstrates how engaging seriously with so-called “sub-identities” encoded in local dialects can, paradoxically, reinforce the overarching classical identity, contributing to debates in the applied humanities on language policy, cultural heritage, and identity formation in the Arab world.

Keywords: Arabic Dialectology, Identity, Semantic Change, Dhofari Arabic, Linguistic Atlas, Cultural Heritage.

الملخص

تهدف هذه الدراسة الى بيان مدى استطاعة حصر المفردات الفصحى أصلاً في اللهجات المعاصرة، ومعالجة وضعها اللغوي، وتوظيفها في الاستعمال الفصيح مجدداً، وهذا يستدعي الاستئناس بآليات العمل في المعجم التاريخي، والأطلس اللغوي، وأطاريح الدراسات العليا المنجزة في هذا الشأن، وقد عرج البحث على ثلاثة أمثلة من المفردات العامية في محافظة ظفار بجنوب سلطنة عمان، وهي في الأصل فصيحة، تحول المعنى فيها، وربما بقي اللفظ شاهداً على خصوصية هذه الألفاظ في هذه اللهجة، والتصاقها الشديد بالفصحى، وأنها مظهر مهم يُعرف به على تاريخ العربية والظروف الثقافية والاجتماعية المحيطة بها، وكيف أن هذا الالتفات إلى اللهجات المعاصرة مهم في ترسيخ الفصحى.

الكلمات المفتاحية: علم اللهجات العربية، الهوية، التغير الدلالي، العربية الظفارية، الأطلس اللغوي، التراث الثقافي.

١. المقدمة

يمكن للنظر في الألفاظ المستعملة في لهجاتنا المعاصرة أن يقف على عدد غير قليل من الألفاظ التي تبدو للوهلة الأولى غير فصيحة، إلا أنه بقليل من البحث في المعاجم يتبين بجلاء أنها عربية فصيحة، وأنها غابت زمنا غير قصير عن ساحة الاستعمال العربي الفصيح؛ مما جعلها مستهجنة في الاستعمال الفصيح تحدثا وكتابة، ولقد كفانا الدكتور إبراهيم السامرائي مؤونة استنتاج الأسباب التي دعت إلى غياب اللفظة العربية عن الاستعمال الفصيح، وشيوعها في اللهجات المعاصرة في أمصار الوطن العربي على امتداده الكبير، وهي^١:

- أن الفصيح القديم مما قلت الحاجة إليه وذلك لأنه يتعلق بدلالة بعدت عن اهتمام المعريين منها.
 - أنها مما زالت من حيز الفصيح فقبت في العامة، وأن غيرها يسد مسدها.
 - أنها كانت لغة خاصة في بيئة معينة، فلم يكن لها من الشمول، وهي فصيحة، فتحوّلت لخصوصيتها إلى عامة.
- إن الفكرة التي تتجلى في وضعية هذه الكلمات العربية الفصيحة المهجورة هي أنه يمكن حصرها بعمل تقوم عليه مؤسسة عليا تتوزع فروعها في أمصار عربية في الوطن العربي، تقوم هذه اللجان الفرعية مع إشراف اللجنة العليا باستقراء تلك الكلمات التي يستهجنها أبناء المصر أثناء استعمالهم للفصحى ظنا منهم بأنها لا تمت بصلة إلى العربية الفصيحة، وهذه الكلمات إما أنها تستعمل في الفصحى بمبناها ومعناها، أو أنه قد لحقها بعض التغيير إما في المبنى أو في المعنى أو فيهما معا، وعلى هؤلاء المختصين في هذه اللجان دراسة هذه الكلمات ومعالجتها على المستويات الصوتية والصرفية والدلالية، حتى تصبح مؤهلة للانضمام إلى قائمة الكلمات في المعجم العربي الفصيح، إذ لا يمكن أن تكون هذا الكلمات حاضرة حضورا يوميا طاغيا في شؤون حياتنا الاعتيادية، وتكون من أصل فصيح، ثم لا نستفيد منها في إثراء لغة المستعمل العربي للفصحى كتابة وتحدثا، فضلا عما سوف يحدثه هذا العمل من تنمية الاعتزاز لدى أبناء هذه الأمصار العربية بهوياتهم الخاصة لتتبين أنها تتصل بالهوية العامة بمكون مهم من مكونات الهوية وهو اللغة، الأمر الذي يكسب بطبيعة الحال ثراء وقيمة مضافة إلى اللغة العربية الفصحى المشتركة، كما سنشير إلى هذا بشيء من التفصيل في مباحث هذا العمل (السامرائي، ١٩٩٣).

الجدير بالنظر أن مجموع الكلمات العامة في الأمصار العربية قد تشكل معا تمثيلا واضحا للفصحى القديمة التي ما زلنا نقف على كثير من ألفاظها في القرآن الكريم وفي الشعر العربي القديم، وهذا ما لا يمكن أن تمثله الكلمات العامة في مصر واحد منفرد من هذه الأمصار العربية؛ من هنا جاءت أهمية أن يكون العمل مؤسسيا في رصد العاميات والنوعيات العربية بحثا عن تلك الكلمات التي إذا ما اجتمعت مثلت العربية تمثيلا تراكميا توزع في هذا الوطن العربي على امتداده الكبير. وهذا ما يذكّر بأن اللغة العربية الفصحى كانت موزعة بين القبائل في شبه الجزيرة، إذ لا يمكن للباحث أن يقف على مجموع الكلمات المتعلقة بمفهوم واحد في حدود لغة القبيلة الواحدة، "وقد كان القدماء أوفر حظا من أصحابنا المعاصرين، فقد رأوا أشتاتا من ألفاظ خاصة تتصل بهذه القبيلة أو تلك، كما لمحوا طرائق ذات خصوصية في إخراج بعض الأصوات"^٢ (السامرائي، ١٩٩٤).

من أمثلة ذلك ما روي عن بعض العرب أنهم كانوا يكسرون تاء الفعل المضارع كبعض هذيل، وقيس، وتميم، وأسد، وربيعه، غير أن قوما من هذيل مع أكثر أهل الحجاز، وقوم من أعجاز هوازن، وأزد السراة هم على فتح هذه التاء، وهذه الظاهرة لن نجد لها في الاستعمال المعاصر في جميع الأمصار بل هي في بعض المناطق العربية دون الأخرى، فهذه التاء مكسورة في لهجة أهل الخليج، وفي مصر، وبلاد الشام، من مثل قولهم: "تيجي"، وقولهم: "تتمشي"، إلا أن هناك من أبناء اللهجات المعاصرة اليوم من يضم هذه التاء أو ربما ابتداء بالساكن، كما في لهجة أهل العراق حيث يضمونها كقولهم: تُعرف - تُشتغل، وكما في لهجة بعض المناطق في سلطنة عمان بتسكين التاء كقولهم: تُجي (السامرائي، ١٩٩٤).

ولن يُعوزنا جمع الشواهد العربية من القرآن الكريم والشعر العربي القديم التي نوثق بها فصاحة هذه الكلمات العامة، وإن ورودها في مثل هذه المدونات القديمة ليستدعي منا إكبارها والتفتيش عنها بغية دراستها والوقوف على ما أصابها من تحول صوتي وصرفي ودلالي، واكتشاف الظروف البيئية والثقافية والتاريخية التي تقبع وراء هذه التغييرات التي طرأت عليها. إن هذا العمل بات من الوجوب بمكان أن نكشف به عن كنوز لغوية مفقودة كانت في يوم ما ملك أبناء العربية تتسع بها دائرة الاستعمال اللغوي والتواصل الثقافي والفكري، بل تتسع بها دائرة الحياة.

لقد أثرى باحثون كثر المكتبة العربية بأبحاث ودراسات حول علاقة اللهجات المعاصرة باللغة العربية الفصحى، وليس يعجز القارئ الكريم عن التوصل إلى هذه الأعمال عبر المكتبات العامة والإلكترونية ومحركات البحث، إلا أن المهم في هذا ليس جمع هذه الأعمال والإشارة إليها، بل المهم هو النظر في إمكانية جمع مادتها اللغوية في عمل موسوعي يجعل مؤسسة

المعجم التاريخي قادرة على معالجتها علمية صرفاً تعيد إلى هذه المفردات اللهجية صبغتها الفصحى تمهيدا إلى استثمارها وإعادتها في الاستعمال العربي الفصحى لدى الكتاب العرب والشباب والمتعلمين من الناشئة.

إن هذه الأعمال السابقة - على كثرتها - ما زالت قليلة فيما لو كان القصد جمعها واستثمارها في عمل معجمي تاريخي تعليمي قومي في الآن نفسه، إلا أن استثمار الباحثين والجهود العلمية والبحثية في الجامعات العربية من الطلبة والأساتذة على حد سواء المنجزة في هذا المجال قد يقدم مادة ضخمة ومفيدة في تحقيق غايات هذا العمل، لاسيما إن كانت هناك خطط توجيهية تنظم هذه الأعمال وتوجهها نحو استراتيجيات بنائية وتكوينية تقدم المادة اللهجية الكافية المتماشية مع العلمية واللغوية لدى مؤسسة المعجم التاريخي.

إن مشكلة البحث تكمن في معرفة المدى المتاح لتحديد مدونة لهجية للمفردات المعاصرة المتحولة عن الفصحى، والتي يمكن أن تجتمع بعد المعالجة اللغوية لها لتعكس اللغة العربية الفصحى المشتركة، تمهيدا لاستثمارها معجميا، وإدراجها في الاستعمالات الفصيحة تحدثا وكتابة، وإثبات فصاحتها بالاستدلال عليها بالشواهد العربية القديمة من مظانها في الكتاب العزيز والشعر العربي الفصحى القديم وكلام العرب.

بني هذا البحث على محورين: محور الهويات والهوية الكبرى، ومحور العامي الفصحى: جمع وتصحيح، في المحور الأول أبرزت قيمة الهويات الفرعية في الوطن العربي التي تمثلها خير تمثيل اللهجات المعاصرة، وأنها مهمة في ترسيخ الهوية الكبرى التي تمثلها الفصحى القديمة، والتي ما زالت رابطا قويا بين الدول العربية، وفي المحور الثاني قدمت نموذجا قصيرا عن المفردة في اللهجة التي يظن أنها لا تمت للفصحى بصلة، واقفا على دلالتها وما أصابها تغيرات على مستوى الصوت والصرف والدلالة، مشيرا إلى أسباب التحول المتوقعة من النواحي التاريخية والثقافية والاجتماعية. وقد حرصت على أن أورد الكلمة في شاهدها من القرآن الكريم والشعر العربي القديم.

٢. خطة الدراسة

– المبحث الأول: الهويات والهوية الكبرى

– المبحث الثاني: العامي الفصحى: جمع وتصحيح

المبحث الأول: الهويات والهوية الكبرى

أعني بالهويات تلك النوعيات اللغوية التي تستخدمها الشعوب العربية للتواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وهي المحكميات المعاصرة، وأما الهوية الكبرى فأعني بها الفصحى التي يتضح جليا اليوم أن العربي المعاصر يلجأ إليها أحيانا لتحقيق تواصل لغوي مثمر مع أخيه العربي من قطر آخر.

لا يمكننا اليوم تجاهل الكم الهائل من الطاقة اللغوية الكامنة في هذه اللهجات المحكية، وكيف أنها يمكن أن تكون سبيلا قيمة لإحياء ما مات واندثر من مفردات الفصحى، وهو كم غير قليل.

قد جانب الصواب من يقول بأن اللهجات المعاصرة هي أشد وطأة على الفصحى من اللغات الأجنبية، إنه لشتان بين مزاحمة اللهجات للفصحى، وبين مزاحمة اللغات الأجنبية لها وهي التي تفترق عنها تاريخا وهوية، ولا يعقل "أن اللغات الأجنبية لم تعد هي العدو الأول للغة العربية، وإنما الذي حل محله في هذا العداء الشرس النافذ – والذي بمستطاعه أن يجهز على العربية، فيذهب بريحها – هي اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى"؛ ذلك أن هذه اللهجات إذا ما وجدت من العلماء والباحثين والمؤسسات العلمية العربية من يعالجها منهجيا وميدانيا وتربويا لأعيدت بلطف إلى مظانها في الفصحى القديمة؛ على أن يجعلوا ذلك منشورا لأبناء العربية في جميع الأقطار والمجتمعات، وفي جميع المجالات الحيوية التي ينخرط فيها ابن اللغة بقطع الطرف عن تخصصه ومستوى تعليمه ومجال عمله، إن تسريب الوعي بهذه الحركة التوعوية التي ينبغي أن تطال الصغار والكبار، المتعلمين والأميين، لحري بأن يستنهض مارد هذه اللغة الغارق في سبات عميق خلف ذخيرة هذه العاميات، ولعلني أزعم أن هذه الحركة الاستنهاضية الإحيائية هي من أبدى أعمال المعجم التاريخي، فإذا كان ذلك كذلك، فكيف لهذه العاميات أن تكون عدوا، وهي على المنحى الذي أشرت إليه سلاح وذخيرة، إن العدو الحقيقي للفصحى هو عجز أبنائها عن تنفيذ مثل هذه الأعمال الموسوعية المهمة في هوية الأمة، وليس العدو هو اللهجات العامية (المسدي، ٢٠١٢).

إن القول بميل الإنسان في الأمة المغلوبة إلى لغة الغالب قديم أورده ابن خلدون عالم الاجتماع العربي المشهور، يقول بـ: "أن المغلوب مولعٌ أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده"، وهذا الميل هو لا شك

أخطر على الإنسان العربي وهويته من الميل إلى تلك اللهجات العامية التي تعود إلى الفصحى العربية مهما بعدت كما سئرى في المبحث الثاني من هذا العمل (ابن خلدون، ٢٠٠٤).

ولما كانت اللغة الفطرية للإنسان - وهي التي يكتسبها زمن الفطرة، وهي اللهجات في الوطن العربي وليست الفصحى - هي الأقرب إليه استعمالاً، والأقدر على تحقيق مآربه التواصلية والإبلاغية في المجتمع؛ فإنه ليس من المعقول إقصاؤها وتهميشها، وليس في هذا دعوة إلى أن تحل هذه اللهجات محل الفصحى، أبداً، لكن الدعوة الحقيقية هي استثمار ما بين هذه اللهجات والفصحى من تشابهات بعضها خفي وبعضها ظاهر، وحصرتها ليس على صعيد مصر عربي واحد بل على صعيد الأمصار العربية مجتمعة حتى يصل الباحثون إلى فائدة شمولية يكون فيها إحياء حقيقي لكثير من المفردات والاستعمالات اللغوية التي غابت عن الاستعمال اللغوي الفصيح.

وهذه الهويات المحلية المستقلة يشد بعضها بعضاً حتى تُخرج كيانا فصيحاً، وبجهد من النظر والتقليب العلمي والمنهجي لتلك المادة اللغوية المبعثرة في أرجاء هذا الوطن العربي الكبير. وإن بقاء هذه اللهجات على قدر كبير من الشبه بينها وبين الفصحى صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً وأسلوبياً لمُعِين على تحقيق هذه الغاية الكبرى، إذ تعاضد هذه اللهجات التي تمثل الهويات سبيل بلا شك إلى تدعيم وتقوية الهوية الكبرى التي نسعى بكل طاقاتنا وأعمالنا وتوجهاتنا إلى حفظها ونشرها وتقديمتها للعالم أجمع.

لطالما كانت اللغة ممراً سهلاً للولوج إلى ثقافات الشعوب وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية والنفسية "وإذا أردنا أن ندرس الفكر والنتاج الفكري، فالواجب أن ندرس اللغة، وإذا أردنا أن ندرس اللغة فعلينا أن ندرس عملها في المجتمع" (عاطف، ١٩٨٧). إن الوقوف على اللهجات المعاصرة اليوم لن يفيد في شغل مفردات هذه اللهجات وإحيائها في الاستعمال الفصيح فحسب، بل في الوقوف أيضاً على الخلفيات والسياقات الاجتماعية والنفسية والمعيشية التي أدت إلى تحريف هذه المفردات صوتياً أو صرفياً أو دلالياً، وهذا ما يتحرى المعجم التاريخي استهدافه والوقوف عليه. ذلك أن اللغة ليس بمغزل أبداً عن العلوم والمجالات الإنسانية الأخرى إذ لها "ارتباط وثيق بعلوم الطبيعة، فإن أصوات لغة الكلام، تنتج وتستقبل عن طريق أجهزة الجسم الإنساني. وتركيب هذه الأجهزة ووظائفها جزء من علم وظائف الأعضاء. وكذلك فإن انتقال الصوت على شكل موجات صوتية عبر الهواء، يدخل في اختصاص علم الطبيعة، وبخاصة ذلك الفرع، المعروف بعلم الصوت. ولكن اللغة، من ناحية أخرى، لها علاقة وثيقة بعلم الإنسان، وعلم الاجتماع، باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية، ووسيلة نقل الثقافة، التي تعد من وجهة نظر علم الإنسان، مجموعة تقاليد الشعب، وأوجه استعمالاته للغة. وبالنظر إلى وظيفة اللغة، كتعبير عن الفكر، يمكن اعتبار اللغة جزءاً من علم النفس" (ماريو، ١٩٩٨).

لا يمكن للباحث في مجال اللغة أن يفصل اللغة عن إطارها الاجتماعي والسياقي ثم يزعم بعد ذلك أنه حصل على نتائج للبحث علمية ومقنعة، وإن إغفال هذه اللهجات عن المشهد البحثي العلمي ومنهجياته سوف يحدث فساداً على صعيد النتائج لاسيما في المجالات العلمية المعجمية والتاريخية، ومن هنا فإن هذه اللهجات المحكية وما تمثلها من هويات مستقلة سوف تكون طرفاً مهماً في إجراءات وممارسات هذا النوع من البحوث، يعضد أهميتها ما أشرنا إليه سلفاً من أن هذه اللهجات تحمل من السمات اللغوية ما يجعلها تشبه إلى حد كبير اللغة العربية الفصحى، ما يعني ضمّ لهجاتٍ إلى لغةٍ فصحية مشتركة، أي ضمّ هوياتٍ إلى هوية كبرى مشتركة.

والاختلافات بين الفصحى واللهجات في البلاد العربية ليست كبيرة على صعيد المفردة وسماتها المعجمية، لكن الاختلافات الصوتية والصرفية والتركيبية كبيرة وواضحة، وهذا يعني بأن الاستعمال الفصيح في جانبه الكتابي سوف يكون أيسر على مستخدمي اللغة العربية الفصحى من مواطني الدول العربية، وذلك لغيب التصويت الذي يظهر في مهارتي التحدث والقراءة عن مهارة الكتابة، ومن هنا يمكن أن نستفيد تربوياً وتعليمياً من أشكال الصياغة الكتابية المتشابهة إلى حد كبير بين الفصحى واللهجات، وتوظيفها في تعزيز الهوية اللغوية لدى أبناء العربية اليوم، وإن مهارتي الكتابة والقراءة الصامتة تحديداً وليس القراءة الجهرية تعدان أداتين فاعلتين في تحقيق ذلك، فالكتابة والقراءة الصامتة مسرح للعمل العلمي والتعليمي واسع للتقريب بين الفصحى واللهجات أي بين الهويات والهوية الكبرى.

يحتاج البحث في اللهجات إلى عمل علمي ومنهجي شاق، ذلك أنه يعتمد أساساً على البحث الميداني القائم على الجمع والملاحظة والتجريب، وهذا العمل فيه من المشقة والمخاطر والإنفاق المالي ما يجعل العلماء والمؤسسات على اختلافها في الوطن العربي ينصرفون عنه، وهذا الانصراف قد أضاع على الأمة واللغة العربية والهوية حظاً وافراً من فرص الوقوف على مظاهر لغوية غاية في الأهمية على صعيد الوصف اللغوي الصرف، وعلى صعيد المظاهر الثقافية والاجتماعية

والنفسية القابعة خلف تلك المادة اللهجية المبعثرة على امتداد الوطن العربي الكبير. وفي المقابل كانت العناية بالفصحى ودراساتها ومعالجة قضاياها اللسانية وموروثها الثقافي والاجتماعي سهلة ويسيرة على الباحثين والمؤسسات على حد سواء؛ مما أرفد المكتبة العربية اليوم بهذا الكم الهائل من الأعمال اللغوية التنظيرية القابعة على رفوف المكتبات في الجامعات العربية، وما زالت هذه الأعمال تتوالى تترى دون اهتمام حقيقي بأعمال لغوية جادة تمس قضايا هذه اللغة وإن من أبرز قضاياها - على ما أحسب - الاشتغال على أطروحات ومقاربات جادة تؤسس لمعجم هذه اللغة التاريخي وترفده بالأعمال الميدانية الوصفية التي من شأنها الحفاظ على هذه اللغة، وجمع شتاتها المعجمي من الأمصار العربية الغنية بالعامي الفصيح على ما يظهر في بعض الأعمال اللغوية المتفرقة في الجامعات العربية وفي غير الجامعات.

يفسر هلال (١٩٩٨) انصراف الباحثين والعلماء عن دراسة اللهجات مبينا بعض العوامل المسببة لذلك، إذ يشير إلى أن الدراسات توجّهت "إلى الفصحى وبيان خصائصها واتجاهاتها لأنها - مع غرض الحفاظ عليها ودوام استمرارها - معبدة الطرق واضحة المسار مستقرة النظم ممتدة عبر التاريخ سمات يمكن تحديدها والنظر في أمرها على عكس اللهجات الشعبية التي يحتاج تحديد مسارها ونظمها وسماتها إلى دراسات دائبة وجهود يتجشّمها الباحث فيها، ويحتاج معها إلى أزمان طويلة لاستخلاص ما يتعلق بها من دراسة الأحوال الاجتماعية والثقافية والبيئية للشعوب." ^٨ ويقول: "العلماء - آنذاك - كانوا يحبون الدعة والهدوء، ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك؛ لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعي الأسفار ولا مشقة الانتقال .. أما اللهجات فتحثاج - لتتبع خصائصها والتعرف على ظواهرها - إلى تنقل وترحال لملاقاة أربابها في بيئتهم دنت أو نأت، سهلت أو صعبت، مع ما يصحب ذلك من عناء السفر والرحلات الشاقة." ^٩

الأطلس اللغوي: واقعه وفرص الاستثمار

يقوم الأطلس اللغوي على معطيات جغرافية يستعان بها في تحديد المناطق الجغرافية التي تتباين فيها اللهجات، ثم يكون العمل بعد ذلك لغويا صرفا؛ إذ توفر المعلومات الجغرافية وصفا جغرافيا محددا للمناطق التي تصطلح فيها جماعة بشرية على طرق معينة في نطق بعض الأصوات أو في استبدال بعض المفردات بأخرى، وربما تغير دلالات بعض هذه المفردات.

إن فكرة الأطلس اللغوي فكرة غربية ظهرت أول ما ظهرت على يد العالم الألماني "فنكر"، ثم ما لبثت أن تطورت الفكرة وآتت ثمارها بشكل ملحوظ مع الأطلس اللغوي الذي اشغل عليه العالم الفرنسي "جيليرون" الذي استطاع أن يبني أطلسا لغويا جمع فيه اللهجات في فرنسا محددا مناطقها الجغرافية ومظاهرها اللغوية الخاصة.

والحق أن العرب كانوا سباقين إلى فكرة بناء الأطلس اللغوي - دون التصريح بالمصطلح إذ لم يظهر مصطلح الأطلس اللغوي إلا حديثا في الدراسات الغربية - دون تحديد لهذا المصطلح الذي شاع حديثا، كما أن عملهم لم يكن متجها بقصد إلى بناء هذا النوع من الأطلس إلا أنهم قاموا بذلك عرضا، يظهر ذلك في تعليقات اللغويين والنحاة القدامى كأبي عمرو بن العلاء، والخليل، وسيبويه والمبرد وغيرهم، يقول المبرد: "حدثني هارون عن نصر بن علي عن الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أفصح الناس سافلة قريش وعالية تميم، قال: وكنا نسمع أصحابنا يقولون: أفصح الناس تميم وقيس وأزد السراة وبنو عذرة" ^{١٠} (المبرد، ١٩٩٥)، كما أن الفارابي قد أورد نصا مهما في تحديد المعايير التي تجعل القبائل مؤهلة لتؤخذ منها لغة العرب، وهو بذلك يحدد القبائل التي يستشهد بلغتها بالنظر إلى تحقق المعايير التي وضعها فيها، يقول: "ويجب لذلك أن يُعلم من الذين ينبغي أن تؤخذ عنهم لسان تلك الأمة، فنقول إنه ينبغي أن يؤخذ عن الذين تمكنت عاداتهم لهم على طول الزمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكنا يُحصنون به عن تخيل حروف سوى حروفهم والنطق بها، وعن تحصيل ألفاظ سوى المركبة عن حروفهم وعن النطق بها ممن لم يسمع غير لسانهم ولغتهم أو ممن سمعها وجفا ذهنه عن تخيلها ولسانه عن النطق بها" ^{١١} (الفارابي، ١٩٩٠).

والظاهر من قول الفارابي أنه يشير إلى تلك الفئة من أهل العربية الفطرية التي لم تتغير بالاختلاط؛ مما يجعلها فطرية عفوية لا تشوبها الأصوات والحروف الغربية عن اللغة والتي تظهر عند فئات من العرب على امتداد شبه الجزيرة العربية والتي حددها لاحقا بقوله: "فتعلموا لغتهم والفصح منها من سكان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من سكان البراري من كان أوسط بلادهم، ومن أشدهم توحشا وجفاء، وأبعدهم إذعانا وانقيادا، وهم قيس وتميم وأسد وطي ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نُقل عنه لسان العرب، والباقي فلم يؤخذ منهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر" ^{١٢} (الفارابي، ١٩٩٠)، لا يمكن لهذا المؤرخ للغة العربية أن يحدد القبائل والمناطق التي تصلح لأن ينقل اللسان العربي

منها والتي لا تصلح لذلك إلا إذا كان هناك اتجاه سائد لدى علماء العربية في ذلك العصر يعتنون فيه باللهجات السائدة آنذاك وما بينها من فروق على مستويات اللغة المختلفة.

نشأ الأطلس اللغوي تحت مظلة علم اللغة الجغرافي الذي يحدد التوزيع المناطقي للهجات في بلد ما واقفا الباحثين الوصفيين والتاريخيين على حد سواء على صفات ومظاهر هذه اللهجات، وقد تبرز أهمية الأطلس اللغوي في إنه يلقي الضوء "على الصيغ الحية للغة أي بلد، بالإضافة إلى ما تحويه من خصائص لهجية متنوعة، وقد ساعد هذا كثيرا علماء اللغة التاريخيين، وبخاصة عند تحديد معالم التغير التي تمت في الماضي، حينما تكون الشواهد المطلوبة مفقودة أو غير كافية"^{١٣} (ماريو، ١٩٩٨).

إن المهام البحثية اللغوية التي يضطلع بها الأطلس اللغوي جديرة بأن تسهم في تشكيل تصور لغوي جغرافي واسع يقدم مادة من المفردات المحكية التي تعود في أصولها إلى العربية الفصحى، وبجهود غير يسير من معالجات الجمع والملاحظة، والمعالجات التقنية اللغوية على مستويات الصوت والصرف يمكن إعادة كَمِّ هائل من هذه المفردات إلى حظيرة الفصحى، الأمر الذي نلج به في ثنانيا العمل إلى خلفيات ثقافية وتاريخية واجتماعية عديدة يزخر بها تاريخ هذه المفردات، كما أن "تسجيل اللهجات العربية الحديثة تسجيلا جغرافيا على خرائط - يعين إلى حد كبير - على دراسة هذه اللهجات في ذاتها - أولا، وعلى دراسة اللغة العربية ثانيا، ويعين - ثالثا - على معرفة ما يمت من اللهجات العربية إلى الفصحى بسبب، وما هو متوغل في القدم منها، أو حديث عهد بحياتنا اللغوية، كما يعين أخيرا على دراسة سائر اللغات السامية دراسة مقارنة"^{١٤}، فضلا عن أنه يعين بلا شك على استظهار العوامل التاريخية والفكرية والثقافية والمعيشية والسياسية وراء ظهور لفظة ما أو اختفائها، لاسيما إذا كانت هذه اللفظة ذات أصل عربي فصيح يمكن تحديده بسهولة أو بصعوبة (تركستاني، د.ت).

كما أشار العالم السويسري "شنيجر" إلى أهمية الأطلس اللغوي تحديدا في دراسة اللغة العربية، يقول: "وبالنسبة للغة العربية نقول إن القيام بعمل أطلس لغوي سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغة السامية، لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات واللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثيرها بالمراكز الثقافية، وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من المكتشفات التي لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد"^{١٥} (الراجحي، ١٩٩٦).

إن واقع الأعمال المنجزة في الأطلس اللغوي أو في دراسة اللهجات العربية للكشف عن صورة توزيع اللغة العربية ولهجاتها القديمة أو المعاصرة، إما أنها استهدفت الفصحى وما يتعلق بها مع إغفال اللهجات المحكية المعاصرة، أو أنها اعتنت بالأخيرة مع ربط إجراءات العمل وتفصيلاته بالعربية الفصحى، ويمكن الإشارة إلى بعض الأعمال تمثيلا على الاتجاه الأول كدراسة محمد يعقوب التركساني "أطلس لغات طي"، ودراسة محمد أحمد سعيد العمري "أطلس لغات قيس"، وما كتبه الدكتور عبده الراجحي عن الأطلس اللغوي في كتابه "اللهجات في القراءات القرآنية" تحديدا في آخر الكتاب.

وأما الاتجاه الثاني الذي اعتنى باللهجات المعاصرة - وهو الذي يمثل العمل اللغوي الأكثر أهمية ونجاعة على حد تقديري - يمثل عدد من الباحثين العرب والمستشرقين الذين قدموا أعمالا متفرقة ليس بقصد إنشاء أطلس لغوي حقيقي إلا أنها أعمال تصب بطريقة مباشرة في هذا الشأن، منهم الدكتور إبراهيم أنيس في دراسة لهجة القاهرة، والدكتور كمال بشر في دراسة لهجة لبنان، والدكتور تمام حسان في دراسة لهجة الكرك، ومن المستشرقين نجد دراسة كمبخيماير في لهجة أهل اليمن، ودراسة مايستر للهجة بغداد، ودراسة ماكس مولر للهجة القدس، ودراسة دراسة صوتية في العامية المصرية لهاريل، دراسة برجشتراسر في لهجة دمشق^{١٦} (هلال، ١٩٩٨). لقد كان من الأولى أن يعتني الباحث العربي قبل هؤلاء بهذه الدراسات اللهجية التي لا غنى عنها في الوقوف على تاريخ قديم للفصحى، واكتشاف خلفيات اجتماعية وثقافية مهمة مرت بها لغتنا العربية، ليس من العدل أن يطالع هؤلاء الأجانب على هذا التراث الضخم قبلنا وبحرص أشد من حرصنا وهم ينفقون عليه جهدا كبيرا وسفرا طويلا ومالا وفيرا.

وقد استعرض الدكتور محمد المعشني في كتابه "لسان ظفار الحميري" بشيء من التفصيل عناية المستشرقين باللهجات المعاصرة، وتحديدًا من اعتنى منهم بلهجة أهل ظفار الشحرية (الجبالية)، يقول: "ومقابل هذا الإهمال الواضح للعلماء العرب القدامى والمعاصرين للسان العربي الجنوبي لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للعلماء الغربيين من المستشرقين الذين نشروا عنها عددا من الدراسات والمقالات منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر"^{١٧} (المعشني، ٢٠٠٣).

المبحث الثاني: العامي الفصحى: جمع وتصحيح

في هذا المبحث سوف أقف على عينة من الألفاظ المستعملة في اللهجة المحكية في منطقة ظفار في جنوب سلطنة عمان، وهذه الألفاظ أصلها من الفصحى، وسيقتصر العمل على شقين اثنين: شق نرد فيه هذا العامي إلى أصله الفصحى بالاعتماد على الشواهد القرآنية والشعرية، وشق نبين فيه قدر المستطاع العوامل الاجتماعية والثقافية التي كانت خلف تلك التحولات اللغوية التي أصابت اللفظ.

الجدير بالذكر أن هناك لهجتين شائعتين في محافظة ظفار^{١٨}، الأولى قريبة جدا من العربية الفصحى في ألفاظها وتراكيبها، وهي لهجة أهل الحضر وسكان المدينة، والثانية هي لهجة أهل الريف في ظفار، وهي الشحرية أو الجبالية، وهذه الأخيرة تختلف للوهلة الأولى كثيرا عن الفصحى القديمة إلا أنه عند التمحيص بالبحث في المعاجم القديمة يتبين التشابه الكبير بينها وبين الفصحى القديمة. وسوف يتناول البحث ألفاظا من هاتين اللهجتين مع بيان أصولها العربية الفصحى، ثم الوقوف استنباطا وحسابا على الخلفيات الاجتماعية والثقافية خلف هذه التحولات في المعنى التي أصابت هذه الألفاظ.

لم تكن اللغة على حد تعبير مسدي (١٩٨٦) متسلطة على الإنسان، لم تكن العلاقة بينها وبين الإنسان على هذا النحو أبدا، بل لقد كانت اللغة مرتبطة بالإنسان زمانه ومكانه، وكأن بيئة الإنسان هي التي تشكله وتوجهه فتتشكل أيضا لغته، يقول: "ولكن تحسس حقائق الأمور باشتقاقها من مكان من الظاهرة الطبيعية يدعونا إلى مزيد من الكشف المجهرى عن نوااميس الظاهرة اللغوية في علاقتها بالإنسان فيتجلى لنا بالاستنباع النظري والتحرك الجدلي أن اللغة لم تكن قط في منظور الفكر العربي مؤسسة قسرية تتسلط على الفرد من على^{١٩}

مما يعنى أن الإنسان بمقيدى الزمان والمكان في كل بيئة عاش فيها سوف يصنع لغته الخاصة، وهذا ما جعل الفصحى تؤول إلى لهجات يضيق الاستعمال اللغوي فيها ويتسع، وهو أكثر ضيقا وأقل اتساعا إذا ما وازنته بالاستعمال الفصحى في معظم مستويات الاستعمال اللغوي الفصحى الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي. مثال ذلك اختفاء التثنية من بعض الاستعمالات في اللهجات المحكية كقولهم: شفتهم - حصّلتهم، والكلام عن اثنين وليس عن جماعة. ومنه اختفاء بعض الأسماء الموصولة المهمة في الفصحى وهي: من وما الموصولتين، بل إن الأسماء الموصولة الأخرى أنقصت بعض حروفها فاستعاضوا عن الأسماء الموصولة: الذي والتي والذين واللاتي بلفظة: (الي) كقولهم: جانا الي تعرفوه، وجانا الي تعرفوهم.

ويقرر السامرائي (١٩٩٣) في كتابه "العربية تاريخ وتطور أن" العربية في بداوتها حفلت بأصول كان لها أن تكون من مواد الحضارة حين تحول العرب إلى عصورهم الحضارية^{٢٠}. ثم يسير في فصل كامل من الكتاب في استعراض كثير من الألفاظ المعاصرة في لهجة العراق وهي ما زالت تستخدم في اللهجة المعاصرة مع انحرافات يسيرة إما صوتية، أو صرفية، أو دلالية.

ينبغي في هذا البحث التطرق إلى بعض المظاهر الصرفية المتعلقة غالبا بالاشتقاق التي تجعل اللهجة الظفارية الحضرية تختلف عن الفصحى اختلافا يسيرا، والمظاهر الدلالية التي بقيت كما هي في ألفاظ بعينها وانحرفت شيئا يسيرا في ألفاظ أخرى.

يَفْرُقُونَ

وردت هذه الكلمة في سورة التوبة في قوله تعالى: " وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ (٥٦)"^{٢١}.

ورد الفعل (فرق) على بنائين، الأول (فرق) بفتح الوسط، ويعني التفريق بين الأشياء وفصل بعضها عن بعض، والثاني بكسر الوسط (فرق) وتعني خاف وجزع، وهذا المعنى الأخير هو المبحث المقصود هنا، إذ تستعمل هذه الكلمة بمبناها ومعناها مع اختلاف يسير في صوت القاف في اللهجة الشحرية (الجبالية) بمحافظة ظفار، ولا يعرف أبناء المدينة والحضر - على غير اللهجة الشحرية - هذا الفعل إلا بمعناه الأول المشهور وهو التفريق بين الأشياء. وقد أورد صاحب اللسان الكلمة بمعنيها، قال: "فرق: الفرق: خلاف الجمع... والفرق، بالتحريك: الخوف. وفرق منه، بالكسر، فرقا: جزع". وربما كان هذا المعنى الثاني للفعل (فرق) قد قل استعماله ونذر، فلا نكاد نسمعه - بل نحن لا نسمعه حقا - في بلادنا العربية بمعنى الخوف إلا أن يكون في لهجة خاصة جدا مطبوعة في ناحية ما من الوطن العربي، وإن هذا النوع من الدراسات اللهجية فرصة ثمينة لجمع هذه المادة الفصيحة الغائبة عن الفصحى المعاصرة والمبعثرة في اللهجات العربية المعاصرة في شتى بقاع البلدان العربية.

والحق أن أبناء اللهجة الشحرية (الجبالية) في ريف ظفار لا يستعملون الفعل الآخر المعروف الذي يؤدي معنى الخوف وهو (خاف - يخاف)، إنما يقتصرون في تأدية معنى الخوف على الفعل (فرق) بكسر الوسط في الفصحى، وعلى الفعل

(جسر) منغيا، يقولون: أجسر لا. والألف في (لا) مفخمة جدًا، وكذلك فتحة السين في (جسر) مماله إلى الضم، أي: لم يجرو. ولا ظهور للفعل (خاف) إلا في سياق ضيق جدًا للإشارة إلى النصيح والإرشاد في مخافة الله، كقولهم: خف آض. أي خف من الله، وآض هنا بألف مفخمة جدًا والصاد بصوت مميز جدًا مشرب بشيء من اللام المفخمة. وهناك أفعال أخرى تفيد معنى الخوف عندهم مثل: فذّر، وفجّع، وهي بمعنى: خاف.

أما صوت الفعل (فرق) في هذه اللهجة فيكون بكسرة تحت الفاء وسكون على الراء وآخر على القاف، أي بتوالي سكونين كما في اللهجات المعاصرة (فِرْقْ)، وهو في صيغة الماضي، وقد أورد له الباحث أحمد المعشني صيغا أخرى كالتعدية "أَفَرَقَ" أي: أخاف وأفزع، و"أَفَرِقَ" أي: أخيف، و"فَرَقْتُ" أي: الخوف وهو المصدر. أما القاف فيه فليست تنطق كالقاف التي نعرفها في الفصحى، إنها قاف ابتعدت عن مخرجها لتقترب كثيرًا من مخرج الكاف، وقد فقدت صفة الجهر فهي مهموسة لشبهها بالكاف المهموسة.

وهذا الحرف قد أحدث جدلا غير يسير حوله؛ إذ اختلف اللغويون في ترتيبه^{٢٢} فضلا عن أن القاف التي وصفها القدماء في الفصحى تختلف عن القاف المعاصرة في المخرج والصفة والترتيب^{٢٣} (المعشني، ٢٠١٢)، والقاف القديمة قد حكى سيبويه (١٩٩١) فيها الجهر^{٢٤} بخلاف الكاف المهموسة وإن كانت تشترك معها في المخرج، وربما اتفقوا على صفة الجهر فيه^{٢٥} (أنيس، د.ت.).

إن القاف التي نتحدث عنها في الفعل (فرق) في اللهجة الشحرية (الجبالية) هي حتما مهموسة لقربها الشديد من الكاف وبعدها عن حرف (الجاف) المشهور والمذكور بصفته عند القدماء والمستعمل اليوم في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية مما يشبه الجيم المصرية، وربما كانت القاف التميمية التي تحدث عنها اللغويون العرب الكائنة بين القاف والكاف إنما صوتها صوت (الجاف) القصية المجهورة، لا القاف اللهوية المهموسة. ويصف الدكتور محمد المعشني ابن هذه اللهجة هذا الصوت ليجعله صوتًا مختلفًا عن القاف المعاصرة والجاف القاهرية المجهورة والقاف التي بين القاف والكاف، كما أنها أيضًا ليست غنيًا، يقول: ويمكن القول: بأن هذه القاف مختلفة عن الكاف ومختلفة عن القاف اللهوية المهموسة ومختلفة عن القاف الحنكية المجهورة التي تماثل الجيم القاهرية... وهي ليست غنيًا كذلك. يقول: إنما هي صوت مستقل متميز عن غيره، ويكاد يكون موجودًا في كل كلمة فيها قاف في هذه الألسن. وهذا ما يجعل فعلنا (فرق) يتميز من ناحيتين: المعنى الفريد فيه، وفردة صوت القاف فيه.

إلا أن هذا العرض لمسألة صوت القاف في هذا الفعل لا يفيد فيما نعالجه هنا من بقاء المعنى الآخر له في هذه اللهجة وهو معنى الخوف والجزع وعدم تحوله أو اختفائه، لكن دراسة هذه الأصوات القديمة تضيف بلا شك معرفة تاريخية مهمة من ناحية أخرى بعيدا عن تحولات المعنى.

أما في النظر إلى ما وراء استخدام هذا الفعل بهذا المعنى تحديدا وتفرد أبناء هذه اللهجة به فإنه يمكن تفسير ذلك بأن الفعل (فرق) تفيد الخوف الشديد أكثر مما يفيد الفعل (خاف)، يظهر ذلك من عرض آراء اللغويين والمعجميين حول هذا الفعل، الأمر الذي قد يعكس بعضا من الحالة الاجتماعية والأمنية والعيشية التي كان يعيشها أبناء هذه اللهجة، والتي قد تصبغ أفراد ذلك المجتمع بصفات فردية تتمركز بين طرفين متناقضين، إما الشجاعة وقوة الشكيمة وشدة البطش، وإما الخضوع والاستسلام والمذلة، لما قد انتشر في ذلك المجتمع من سطو وبطش، ما زالت تظهر بعض آثاره حتى اليوم على صورة حكايات وقصص يتسلى بها السمار من أبناء هذه اللهجة في جبال ظفار وريفها.

والناظر إلى هيئة أبناء هذه القبائل التي تستعمل هذه اللهجة في زيههم وعاداتهم وتقاليدهم وفنونهم وحرفهم يجد شكائم الرجال القاسية، وقوة الألفاظ المستعملة وحدتها في الدلالة على الأنفة وعدم الخنوع، والحرص على ألا يذكر أحد منهم بشيء من صفات الذل والانكسار، إن هذه الصفات التي ما زالت ملحوظة إلى يومنا هذا في عادات القوم وطباعهم ربما كانت سببا في استخدام الفعل (فرق) الأقوى دلالة في وصف حالة الخوف والرهبه من الفعل (خاف)، وإني على شرطي في النظر إلى هذه المفردات القديمة الثابتة في اللهجة المحكية وردّها إلى أصولها من الفصحى إما بشاهد قرآني أو بشاهد شعري، مع استنباط أسباب التحولات في المعنى اجتماعيا وثقافيا وتاريخيا بلطف وخفة دون التصلب في تحليل تلك الأسباب أو استنباطها؛ حتى يظل باب النظر في هذا مشرعا على مصراعيه لكل ناقد أو باحث قد يضيف استنباطا أو تعقيبا أكثر فائدة ونجاعة.

ويديم قولنا باختيارات أبناء هذه اللهجة مفردات ذات قوة في الدلالة وفقا للظروف القاسية التي عاشوها فإنه يمكن التمثيل ببعض الأفعال التي ربما تتفرد هذه اللهجة بها استعمالا على الأقل على صعيد اللهجات المحكية المحيطة بها في

محافظة ظفار، إذ يستعملون على سبيل المثال الفعل (جلد) في الدلالة على معنى الفعل (ضرب)، كقولهم: جُلِّدْشْن. أي اضربه، والشين هنا حلت محل كاف المخاطب، ولا شك أن الفعل (جلد) يحمل من قوة تحقق الفعل فيزيائياً أكثر من الفعل (ضرب)، وهو يذكر في الحدود لشدة كحد القذف وحد الزاني غير الثيب، وحد شرب الخمر على ما ورد في الأثر، كما أن الفعل اشتق من مادة جلد الإنسان مما يعني أن الضرب قد لا يمس الجلد من بطن أو ظهر أو رأس، في حين أن الجلد يمس ذلك، نستشف هذا من قول صاحب الصحاح: "وجلده الحدّ جلداً، أي ضربه وأصاب جلده، كقولك: رأسه وبطنه" ^{٢٦} (الجوهري، ٢٠٠٩). ومن الأفعال اليومية المستعملة في حياة الناس الفعل (اتركه) أي: دعه، ويستعمل أبناء هذه المحافظة الفعل السهل وهو (تُرْكُة) أو (خَلِّية)، إلا أن المشهور في الشجرية (الجبالية) الفعل: (بَدَشْ) والشين هي للخطاب كما مر، والفعل أصله (بَدَأ) أي كره، إلا أنه يستعمل عندهم بمعنى (دع)، وهو بلا شك أقوى تأثيراً من الآخر، أي ربما يترك الرجل الرجل ولا يبغضه، فليس كل ترك بُغْضاً، إلا أنهم أجروه في كلامهم بمعنى الترك وربما حمل معنى البُغْض قصداً.

وهكذا كلما قرئنا فعلاً سهلاً في الاستعمال اليومي لربما وجدناه في الشجرية (الجبالية) أقصى وأبلغ في تأدية معنى يفيض بالقوة والشدة القولية والفيزيائية. وهذا ما أرى أنه ينطبق على فعلنا الفعل (فرق) كاشفاً بعض الجوانب التاريخية والثقافية لمعنى هذا الفعل قديماً وحديثاً.

خَرِيق

وردت في قول جرير ^{٢٧}:

ريحٌ خريقٌ شمالٌ أو يمانية.. تعتاده مثل سَوَفِ الرائمِ الجَلْدَا

قال الشاعر هذا البيت في مقطع طللي من قصيدة يمدح فيها العباس بن الوليد بن عبد الملك ^{٢٨}، ويشبه فيها هذه الريح القوية في علاقتها مع الطلل بالناقة (الرائم) التي تحن على وليدها (الجلدا) بالشم (السوف)، وكأنه هذه الريح قد اعتادت على هذا الطلل واقتربت منه في أزمان متتالية كقرب هذه الناقة الوالدة من صغيرها (حبيب، د.ت).

الخريق ريح شديدة، وهي شائعة في اللهجة الظفارية جداً باسم: بو خريقة، وهي ريح شديدة الهبوب محملة بالأتربة. يقول ابن يعيش (٢٠٠١): "وكما شبه "فَعُولٌ" بـ "فَعِيلٌ"، فألحق به تاء التأنيث كذلك شبهوا "فَعِيلًا" بـ "فَعُولٍ"، فأسقطوا منه تاء التأنيث، فقالوا: "شاةٌ سَدِيسٌ"، إذا أتت عليها السنة السادسة، وقالوا:

"ريحٌ خَرِيقٌ"، أي: باردة شديدة الهبوب. قال الشاعر:

كأن هُبُوبها حَقَقَانُ رِيح ... خَرِيقٍ بين أعلام طوال

و"كَتَيْبَةُ خَصِيفٌ" ^{٢٩}، فالأصل في "فَعِيلٌ" إسقاط علامة التأنيث منه كما في: ثوبٌ كَسِيفٌ، وامرأةٌ قَتِيلٌ. وذلك أن هذه الأسماء فيها معنى المفعول إذ تثبت علامة التأنيث إذا كان الاسم لا يحمل معنى المفعول نحو: امرأةٌ جميلةٌ، وجارةٌ كريمةٌ.

والجدير بالذكر هنا أن "خريق" اسمٌ كان ينبغي أن تلحقه تاء التأنيث لأنه على وزن فَعِيلٍ وليس فيه معنى المفعول، فكان الأصل أن تقول العرب: ريحٌ خريقةٌ. إلا أن الاسم ذكر شدوذا يقول السيوطي (د.ت) في المزهري: "وجاءت أشياء شاذة فقالوا: ريحٌ خريقٌ، وشاةٌ سَدِيسٌ، وكَتَيْبَةُ خَصِيفٌ" ^{٣٠}. وشاةٌ سَدِيسٌ أي: بلغت السنة السادسة، وكَتَيْبَةُ خَصِيفٌ أي: كثير اختلاط سواد جيشها ببياضه، لقد احتفظت اللهجة الظفارية الحضرية في الاستعمال المعاصر بصفة التأنيث في اللفظة وتجنبنا الشذوذ، فنقول في اللهجة الظفارية: بو خريقة قرح. أي بدأ هذا النوع من الريح بالهبوب. والزيادة في هذه اللفظة جاءت في اللهجة الظفارية بإثبات علامة التأنيث، والنقصان جاء في العربية الفصحى بحذف هذه العلامة.

وإذا ما نظرنا إلى سبب اختلاف هذا اللفظ العامي عن الفصحى اجتماعياً لوجدنا أن العربي الظفاري تعود أن يشير إلى ما حوله من الأشياء بما تتميز به هذه الأشياء، فإذا تميز امرؤ بضخامة رأسه نادوه: بو راس. وألصقوا بالصفة لفظاً (بو) التي هي من الأسماء الخمسة في اللغة، وهي هنا تفيد التملك والاستحواذ. وربما كان هذا السلوك اللغوي منتشراً في بقاع كثيرة من الوطن العربي، ومن ذلك قولهم: أبو البنات، للشخص الذي لم يزرزق إلا بالبنات حتى تميز بذلك، وهناك مسمى للأزباء مشهور جداً عند أهل ظفار هو "ثوب بو ذيل" وهو الثوب الظفاري المميز عن بقية ثياب محافظات وولايات سلطنة عمان بوجود إضافة من القماش في خلف ثوب المرأة من الأسفل، ولأن الثوب الظفاري تميز بشكل ملحوظ بهذه الزيادة (الذيل) سمي بها

مع إضافة لفظة (بو)، وهذا كثير في كلامهم نحو: بو كرش - بو عين - بو شنب، وفي ذلك كله إشارة إلى ميزة تملكها شخص من الأشخاص أو شيء من الأشياء.

والظاهر أن هذه الريح المذكورة في بيت الشاعر جرير تميزت بالشدة عن غيرها وبالغبار الذي يتطاير معها وهو لا يكون في غيرها من الرياح، وكانت العرب تسميها "الخريق"، إلا أن الظفاري في لهجته أسند إليها لفظة (بو) التي تشير إلى تميز الشيء بصفة ما أو اسم ما على سبيل التملك والاستحواذ.

قُصَّة

وردت في قول جرير ٣١:

يَترَاهَنُونَ عَلَى التِّيُوسِ كَأَنَّمَا.. قَبَضُوا بِقُصَّةِ أَعْوَجِيٍّ مُقَرَّبِ

في هذا البيت يهجو جرير رجال بني طُهيّة ويصفهم بأنهم يعاملون التيوس معاملة الخيل الأصيلية (الأعوجيات) المقربة عند أهلها المحبة إليهم، وكأن الواحد منهم إذا ما مسح على قُصَّة (شعر مقدمة الرأس) التيس يشعر بالفخر وكأنه قد مسح على قصة فرس أعوجي أصيل، إشارة من الشاعر إلى انحطاط هؤلاء الذين ينسبون إلى قبيلة طُهيّة لولعهم بحرفة الرعي وهي من أوضاع الحرف لديهم (حبيب، د.ت).

ولفظة قُصَّة تعني "شعر الناصية"؛ قال عدي بن زيد يصف فرساً: له قُصَّةٌ فشغت حاجبيه، والعين تُبصر ما في الظلّم، وفي حديث سلمان: ورأيتهُ مُقَصَّصًا؛ هو الذي له جُمّة. وكل خصلة من الشعر قُصَّةٌ^{٣٢} (ابن منظور، د.ت). وعند ابن فارس "القُصَّة الناصية"^{٣٣} (ابن فارس، ١٩٧٩)، وما زالت هذه اللفظة شائعة جداً في ظفار لاسيما بين النساء؛ إذ تعتمد المرأة الظفارية إخراج بعض الخصلات من شعرها عند النساء والمحارم من الرجال مظهراً من مظاهر التزين، ويطلق على هذه الخصلات من الشعر المتدلية على جبين المرأة الظفارية القصة بضم القاف وتضعيف الصاد.

وربما نستشف من الاستعمال القديم لهذه اللفظة أنها كانت تستعمل للدلالة على شَعْر مقدمة رأس الفرس، لا يظهر هذا المعنى من استعمال جرير لها فحسب، بل من تطرق اللغويين في المعاجم لدلالاتها وحصرها في هذا المعنى تحديداً، إلا أن اللفظة اليوم انتقلت من الدلالة على شعر مقدمة رأس الفرس إلى شعر الناصية عند المرأة، وأرى أنه من الصعوبة بمكان الوقوف على الأسباب التي دعت إلى هذا الانتقال الدلالي، ويمكن هنا الاستئناس بمقولة للمستشرق الفرنسي فندريس وهو يحدد أنواع التغييرات التي تصيب الكلمات في اللغات، يقول: "ترجع أحيانا التغييرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع: التضيق والاتساع والانتقال"^{٣٤} (فندريس، ٢٠١٤).

إذا أردنا أن نحدد الأسباب الاجتماعية والنفسية وراء انتقال هذه اللفظة من الفرس إلى المرأة كما هو في اللهجة الظفارية في العصر الحديث، فإنه يمكننا أن نعزو ذلك بلطف إلى علاقة المشابهة القائمة قديماً وحديثاً بين المرأة العربية والفرس العربية الأصيلية، وكيف أن المرأة عندما عظمت في نفس الرجل شبهها بما هو نفيس عنده كالفرس والناقة والظبية، ومن هنا فإن المرأة العربية ما إن أخرجت هذه الخصلات من الشعر في مقدمة رأسها حتى ذكرت أفراد المجتمع بتلك الخصلات من الشعر التي تكون في مقدمة رأس الحصان، وهي القُصَّة.

٣. الخاتمة

نستطيع في ختام هذا البحث الإشارة إلى أهم النتائج كما يلي:

- أن جزءاً عظيم من لغتنا الفصحى بات مبعثرة في اللهجات المعاصرة التي توزعت على مناطق شاسعة في الوطن العربي على امتداده الكبير.
- يمكن تشكيل فرق بحث ميدانية للوقوف على هذه المفردات الكثيرة جداً وتصنيفها وتحليلها وإدراجها في الاستعمال المعاصر.
- أهمية مثل هذه الدراسات الميدانية التحليلية في المعجم والدلالة والأصوات والبنية الصرفية والنحوية للوقوف على الخلفيات الاجتماعية والثقافية والبيئية والحضارية لهذه التحولات اللغوية.
- سهولة الاستفادة من هذه المفردات في الاستعمال الفصيح للكتاب والأدباء وغيرهم من مستعملي اللغة لقرب هذه المفردات من العامة.

– هذه الأعمال اللغوية الميدانية التي تقترب من خصوصية الأمصار العربية سبيل مهمة في ترسيخ الهوية ولم شتات الوحدة العربية.

الشكر والتقدير

أتوجه بخالص الشكر إلى المراجعين ورئيس التحرير على تعليقاتهم القيمة على المسودة الأولية لهذه الورقة البحثية. كما أعرب عن تقديري وزارة التربية والتعليم في قطر على تسهيل عملية جمع البيانات. جميع الأخطاء أو أوجه القصور المتبقية هي مسؤوليتي بالكامل.

الإقرارات الأخلاقية

تم عمل هذا البحث وفقاً لمبادئ النزاهة البحثية والأخلاقيات العلمية. نظراً لعدم وجود مشاركين في هذه الدراسة، لم يكن هناك حاجة للحصول على موافقة مسبقة أو إجراءات أخلاقية خاصة بالمشاركين. ومع ذلك، تم التعامل مع جميع مصادر ومواد البحث بمسؤولية وبما يضمن حقوق الملكية الفكرية. وتم الالتزام بمبادئ الدقة والشفافية والمصادقية لضمان سلامة النتائج.

بيان توافر البيانات

تتوفر مجموعات البيانات التي تم جمعها وتحليلها خلال هذه الدراسة عند الطلب من الباحث.

التمويل

لم يتم تلقي أي تمويل لإجراء هذا البحث.

تضارب المصالح

يؤكد الباحث عدم وجود أي تضارب في المصالح.

مساهمة الباحثة

- قام سعيد بيت مبارك بوضع تصور الدراسة وتصميمها، بالإضافة إلى جمع البيانات وتحليلها.
- تمت كتابة المسودة الأولى للمقال من قبل سعيد بيت مبارك.
- قام الباحث بمراجعة النصوص وتحريرها، واعتمد النسخة النهائية للنشر.

الموافقة على النشر

يوافق الباحث على تقديم هذه الورقة البحثية للنشر، وبانتظار قرار هيئة التحرير بعد عملية التحكيم، ووافق على نشرها. كما يؤكد أن هذا العمل لم ينشر سابقاً، ولم يقدم إلى أي مجلة أخرى للنظر في نشره.

المراجع

- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد. (٢٠٠٤). *مقدمة ابن خلدون* (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش). دمشق: دار يعرب.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن. (١٩٨١). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه* (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥). دار الجيل.
- ابن فارس، أحمد. (١٩٧٩). *معجم مقاييس اللغة* (تحقيق: عبد السلام هارون). دمشق: دار الفكر.
- ابن فارس، أحمد. (١٩٩٧). *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها* (علق عليه ووضح حواشيه: أحمد حسن بسج). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). *معجم لسان العرب*. القاهرة: دار المعارف.

ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيس. (٢٠٠١). *شرح المفصل للزمخشري*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أنيس، إبراهيم. (د.ت). *الأصوات اللغوية*. القاهرة: مطبعة نهضة مصر.

باي، ماريو. (١٩٩٨). *أسس علم اللغة* (تحقيق: أحمد مختار عمر، ط ٨). القاهرة: عالم الكتب.

تركستاني، محمد يعقوب. (د.ت). *أطلس لغات طي، المقدمة (ج)*.

التميمي، جرير بن عطية الخطفي. (د.ت). *ديوان جرير*. بيروت: دار بيروت.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (٢٠٠٩). *الصاحح: تاج اللغة وصحاح العربية* (راجعته واعتني به: د. محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد). القاهرة: دار الحديث.

حبيب، محمد. (د.ت). *ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب* (تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، ط ٣). القاهرة: دار المعارف.

الراجحي، عبده. (١٩٩٦). *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*. إسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

السامرائي، إبراهيم. (١٩٩٣). *العربية تاريخ وتطور*. بيروت: دار المعارف.

السامرائي، إبراهيم. (١٩٩٤). *في اللهجات العربية القديمة*. بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. (١٩٩١). *الكتاب* (تحقيق: عبد السلام هارون). بيروت: دار الجيل.

السيوطي، جلال الدين. (د.ت). *المزهر في علوم اللغة* (٢/١٩٢).

عبد السلام المسدي. (٢٠١٢). *الهوية واللغة في الوطن العربي*. مجلة *تبئين*، العدد ١، صيف ٢٠١٢.

الفارابي، أبو نصر. (١٩٩٠). *كتاب الحروف* (تحقيق: محسن مهدي). بيروت: دار المشرق.

فندريس، جوزيف. (٢٠١٤). *اللغة* (ترجمة: عبد الدواخلي ومحمد القصاص). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (١٩٩٥). *كتاب الفاضل* (تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط ٢). القاهرة: دار الكتب المصرية.

مدكور، عاطف. (١٩٨٧). *علم اللغة بين التراث والمعاصرة*. القاهرة: دار الثقافة.

المسدي، عبد السلام. (١٩٨٦). *التفكير اللساني في الحضارة العربية*. تونس: الدار العربية للكتاب.

المعشني، أحمد محاد. (٢٠١٤). *معجم لسان ظفار*. سلطنة عمان: حقوق الطبع للمؤلف.

المعشني، محمد سالم. (٢٠١٢). *دراسات لغوية*. مسقط: مكتبة الغبيراء.

المعشني، محمد سالم. (٢٠٠٣). *لسان ظفار الحميري المعاصر: دراسة معجمية مقارنة*. سلطنة عمان: جامعة السلطان قابوس، مركز الدراسات العمانية.

هلال، عبد الغفار. (١٩٩٣). *اللهجات العربية: نشأة وتطور* (ط ٢). القاهرة: مكتبة وهبة.

١ - السامرائي، إبراهيم، العربية تاريخ وتطور ص ٣٠٢.

٢ - السامرائي، إبراهيم، في اللهجات العربية القديمة ص ١٥١.

٣ - المرجع نفسه ص ١٥٧.

٤ - عبد السلام المسدي، الهوية واللغة في الوطن العربي، مجلة *تبئين* ص ٨١.

٥ - ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٨٣.

٦ - مدكور، عاطف، علم اللغة بين التراث والمعاصرة ص ١٣.

٧ - باي، ماريو، أسس علم اللغة ص ٤٢.

٨ - هلال، عبد الغفار، اللهجات العربية: نشأة وتطور ص ٣٨٩.

٩ - المرجع نفسه ص ٣٨٩.

١٠ - المبرد، أبو العباس، كتاب الفاضل، ص ١١٣، وانظر: صاحبي في فقه اللغة، لابن فارس ص ٤٠، والعمدة، لابن رشيق ص ٨٨/١.

١١ - الفارابي، كتاب الحروف ص ١٤٥.

١٢ - المرجع نفسه ص ١٤٥.

١٣ - باي، ماريو، أسس علم اللغة ص ١٣٢.

- ١٤ - تركستاني، محمد يعقوب، أطلس لغات طي، المقدمة (ج).
- ١٥ - الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٧.
- ١٦ - انظر: هلال، عبد الغفار، اللهجات العربية نشأة وتطورا ص ٤٠٩.
- ١٧ - المعشني، محمد سالم، لسان ظفار الحميري المعاصر ص ٧٥.
- ١٨ - إلى جانب لهجات أخرى معروفة في المنطقة مثل: المهريّة، والبطحريّة، والهيوتية، والحرسوسية.
- ١٩ - مسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ٢٥٤.
- ٢٠ - السامرائي، إبراهيم، العربية: تاريخ وتطور ص ٩.
- ٢١ - سورة التوبة آية ٥٦.
- ٢٢ - المعشني، محمد سالم، دراسات لغوية ص ١٤١.
- ٢٣ - المرجع نفسه ص ١٤١.
- ٢٤ - سبيوي، الكتاب ٤/٤٣٤.
- ٢٥ - أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية ص ٧٢.
- ٢٦ - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (جلد).
- ٢٧ - ديوان جرير ص ١٢٥.
- ٢٨ - انظر: حبيب، محمد، شرح ديوان جرير ١/٣٩١.
- ٢٩ - ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري ٣/٢٨٩.
- ٣٠ - السيوطي، جلال الدين، المزهرة في علوم اللغة ٢/١٩٢.
- ٣١ - ديوان جرير ص ٤٥.
- ٣٢ - ابن منظور، لسان العرب (قصص).
- ٣٣ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (قصص).
- ٣٤ - فندريس، جوزيف، اللغة ص ٢٥٦.